خطاب العقيدة للأنبياء بين القبول والرّفض

الأستاذ الدكتور
رحيم خريبط عطيّة
جامعة الكوفة ـ مركز دراسات الكوفة
raheem.alsaedi@uokufa.edu.iq

Belief Discourse of prophets between acceptance and refusal

Prof. Dr.
Raheem Khraibet Atiya
University of Kufa - Kufa Studies Center

الملخص:-

يدرس هذا البحث موضوعاً مهمّاً في حياة النّاس هو موضوع العقيدة والخطاب الذي يرافق تبليغها من الأنبياء والمرسلين. وقد اتبع هؤلاء الأنبياء والمرسلون منهجاً موحّداً؛ من اجل إبلاغ أقوامهم؛ ذلك لأنّ المصدر واحد وهو الله الذي بعث المرسلين مبشّرين ومنذرين وقد لاقت النبوّات عنتاً ومرارةً من أقوامهم، فهم يصدمون دائماً بعقبة كؤود وهذه العقبة تتمثّل بالمتنفّذين وأهل المصلحة الذين لا يريدون – برأيهم – أنْ تتضرّر مصالحهم وهم صابرون لا يملّون ولا يكلّون حتّى لو طال عمر الدعوة على غرار ما وجدناه من أمر نوح a إذْ بقي يدعو قومه ألف سنة إلّا خمسين عاماً.

وكثيراً ما تعرّض الأنبياء للأذى حتّى وصل الأمر إلى القتل والنفي والتشريد والتعذيب وإلى قتل أقاربهم وأصدقائهم وإلى محاربتهم اقتصادياً واجتماعيّاً ومقاطعتهم مقاطعة تامّة. وكان المتنفّذون يتذرّعون بذرائع واهية منها انّ اتباع الأنبياء من الفقراء ومن أراذل القوم؛ لكنّهم يكذبون في ذلك فقد كان الأقوياء يتبعون الفقراء إلى جانب الفقراء؛ وهم بهذا لا يعرفون اهميّة هؤلاء الفقراء، فقد بشّرهم رسول الله أنّهم أوّل الدّاخلين إلى الجنّة وهم سبب الرّزق.

الكلمات المفتاحيّة: الخطاب، العقيدة، الأنبياء، الرّفض، القبول.

Abstract:-

This research studies an important topics in people's lives which is the topic of belief and discourse that communicated by prophets and messengers. Those prophets and messengers followed a united method to inform their peoples ; as the source is one, He is God who sent messengers, missionary and warner. The prophecies were met with hardship and bitterness from their people. They were always shocked by a hard mind, and this obstacle represented by the influential people and stakeholders who do not want-in their opinion- that their interests be harmed, and they were patient and did not tire, even if the call was prolonged as it was with the prophet Noah whose call continued to a long time.

The prophets were often subjected to harm even it reached to murder, exile, displacement and torture and to kill their relatives and friends and fighting them economically and socially and boycotting them completely. The powerful used to make lame pretexts, including them that the followers of the prophets were among the poor and from the most ignoble of people. But, they were liars, as the powerful people used to followed the poor, and they did not the importance of those poor; where, the messenger had preached to them that they are the first to enter the paradise, and they are the source of sustenance.

Keywords: discourse, belief, prophets, refusal, acceptance.

المقدمة:

يدرس هذا البحث موضوعاً من أهمّ المواضيع في حياة الإنسان وهو موضوع العقيدة، فهو يشكّل "حجر الزاوية في حياة الناس. وقد كان خطاب الأنبياء في مسألة العقيدة "موحّداً" من حيث المنهج وموحّداً من حيث التدرّج. فهم يريدون من أقوامهم الإيمان بالله الواحد الأحد، ونبذ ما عليه أولئك الأقوام من شرك، ومن عبادة الأوثان والأصنام التي يعبدونها من دون الله تبارك وتعالى.

وهم بعملهم هذا لا يطلبون أجراً على ما يقومون به من جهد وما يلاقونه من صدٍّ وإعراض من أقوامهم. بل مضوا على ما بُعثوا به من رسالات يبلّغونها بصبر وتحمّل عزّ نظيره في التاريخ. وكان الرّسل حجّة بالغة لله على الناس؛ إذْ لمْ يترك الحقّ تبارك وتعالى الناس من دون نذير، قال تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ فاطر / ٢٤؛ رحمة منه سبحانه وتعالى ورأفة؛ فهو لا يريد لعباده العذاب، فقد قال تعالى: ﴿مَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ الإسراء / ١٥.

فالعقيدة التي يريدها الحقّ تبارك وتعالى هي العقيدة الحقّة الصّالحة وهي العقيدة التي طبّقها الأنبياء والمرسلون. ومن الجدير بالذّكر أنّ العقيدة المقصودة: هي ما يقوم به النبي أو الرسول من تبليغها لقومه، وهي مجزية سواءٌ أكانت شريعة سماويّة مثل شريعة موسى a أو شريعة المصطفى المختار i أو ما نزل بصحف مثل صحف إبراهيم a وصحف موسى a أو زبور داود a أو ما يبلّغه الأنبياء الآخرون من دون كتاب منزّل من السّماء.

وقد ركّز البحث في "خطاب العقيدة" بمعنى أنّ الخطاب اقتصر هنا على العقيدة - مع أنّ الأنبياء يقومون بـ "خطابات" أُخرى غير الخطاب الديني كالخطاب الاقتصادي أو الاجتماعي وغير هذين الخطابين - وبما أنّ الخطاب الديني يكون أكثر أنواع الخطاب صعوبة؛ لأنّه يتعلّق بالعقيدة وعادة ما تكون العقيدة صعبة للغاية في تقبّلها أو رفضها، فقد كان الأنبياء والمرسلون يبذلون جهوداً عظيمة من أجل تبليغها للنّاس. وتناول البحث "الرّفض" الذي يقوم به قوم كلّ نبيّ وأسباب هذا الرّفض.

ثمّ تناول أنّ بعض المؤمنين من قوم كلّ نبيّ يقومون بقبول دعوة الحقّ التي صدرت من الله تعالى وقام النبيّ بتبليغها لقومه، ومرّ البحث إلى أنّ بعض الأنبياء اتبعهم قليل من أقوامهم ولمْ يكنْ في هذا نقصان في تبليغ النبيّ؛ إنّما لا يلاقي الآذان الصاغية له؛ وكان رسول الله i أكثر الأنبياء أتباعاً وهذا من منن الله تعالى على رسولنا الكريم i فكان الناس يدخلون في دين الله أفواجاً. وانتظم البحث في فقرتين كبيرتين، هما: عقيدة الأنبياء ورفضها وسلّط الضوء على الأسباب الموجبة للرفض، وقبول العقيدة وكيف الله على أنبيائه بهذا القبول من لدن اقوامهم. وانتهى بخاتمة لخّصت النتائج التي اخلص البحث إليها.

أوّلاً: عقيدة الأنبياء ورفضها

لقد اتّبع الأنبياء خطاباً ذا منهج واضح ومحدّد لا يحيدون عنه، وطريقة مفهومة؛ لسببين، الأوّل: صدوره من الله تبارك وتعالى؛ فهو سرمديّ لا يتغيّر بتغيّر الزّمان ولا بتغيّر المكان، والثّاني: إنّ الأنبياء d لا يطلبون لأنفسهم من أقوامهم شيئاً ولا ينتهجون نهجاً يخصّهم؛ لذلك جاء خطابهم موحّداً ثابتاً متشابهاً على وجه العموم، مع الأخذ في الحسبان الخصوصيّات عند كلّ نبيّ.

والعقيدة التي ارتضاها الله تبارك وتعالى لعباده: هي عبادة التوحيد؛ فلا يُقبل من العباد الشرك بالله ولا يُغتفر لهم أبداً. ويتساوى الأنبياء في إيصال هذه العقيدة إلى الناس ولا فرق بين نبيّ وآخر، قال تعالى: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ﴾[1]. وتبقى خصوصيّة رسول الله i في أنّ رسالته عامّة للنّاس ولمْ تختصّ بالعرب - مع أنّها نزلت اوّل الأمر عليهم - فبدأ رسول الله i بعشيرته أوّلاً امتثالاً لقوله تعالى: وأنذر عشيرتك الأقربين.

وقد آمن قسم من عشيرة النبي i وهم بنو هاشم ولمْ يؤمن قسم منهم، فالذي هداه الله للإيمان كان داعماً للرسول الكريم في السّرّاء والضّرّاء، قال ابن إسحاق: ثمّ إنّ الله تعالى أمر رسوله i أنْ يصدع بما جاء به، وأنْ ينادي النّاس بأمره، وأنْ يدعو إلى لله تعالى، وكان ربّما أخفى الشيء، واستسرّ به إلى أنْ أمر بإظهاره، فلبث سنين من مبعثه، ثمّ قال الله تعالى: ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾. وقال: وأنذر عشيرتك الأقربين. واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين. وقل إنّي أنا النّذير المبين[2]. وذكر ابن إسحاق أنّ

أبا لهب عمّ النبيّ i قد خذله: كان الذين يؤذونه: أبو لهب، وعقبة بن أبي معيط، والحكم بن أبي العاصي، وعدي بن جبر الثقفي، ورجل آخر[٣]، وانّ عمّه الآخر أبا طالب قد نصره إذْ قال: نا أحمد نا يونس عن ابن اسحق قال: حدثني يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الأخنس أنه حدث أن قريشاً حين قالت لأبي طالب هذه المقالة بعث إلى رسول الله i فقال له: يا بن أخي إن قومك قد جاءوني فقالوا: كذا وكذا، للذي قالوا له، وآذوني قبل، فأبق علي على نفسك، ولا تحملني من الأمر ما أطيق أنا ولا أنت، واكفف عن قومك نا يكرهون من قولك هذا الذي فرق بيننا وبينهم، فظن رسول الله i أنه قد لعمه فيه بداء، وأنه خاذله ومسلمه؛ وضعف عن نصرته والقيام معه، فقال رسول الله i : يا عم لو وضعت الشمس في يميني والقمر في يساري ما تركت الأمر حتى يظهره الله أو أهلك في بلغ الأمر برسول الله i : أقبل يا ابن أخي، فأقبل عليه، فقال: امض على أمرك وافعل ما أحببت، فو الله لا نسلمك بشيء أبداً[٤].

وقامت بنو هاشم وبنو المطّلب ينافحون عن رسول الله i فكتبت قريش صحيفة يقاطعونهم فيها وعلّقوها على الكعبة[٥]. واشتدّ أذى قريش للمسلمين وكان منادي الوليد بن المغيرة في قريش يقول: أيما رجل وجدتموه عند طعام يشتريه فزيدوا عليه.

فنزلت فيه ﴿عُتُلٍّ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ﴾[٦] قال: فاحش مع ذلك لئيم[٧].

وكان من قريش ما كان أوّل دعوة الرسول الكريم i لهم بعد ما أنذر عشيرته الأقربين، فهم قد احتاروا في دعوته وأنكروها ورفضوها بشدّة لأسباب عديدة، فقد قالوا: ﴿أَنَّىٰ لَهُمُ الذِّكْرَىٰ وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ * ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلَّمٌ مَّجْنُونٌ﴾[٨]. وقد فسّرها ابن كثير بقوله: وَهَكَذَا قال جل وعلا هَاهُنَا: ﴿أَنَّىٰ لَهُمُ الذِّكْرَىٰ وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ * ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلَّمٌ مَّجْنُونٌ﴾. يَقُولُ: كَيْفَ لَهُمْ بِالتَّذَكُّرِ وَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رَسُولًا بَيِّنَ الرِّسَالَةِ وَالنِّذَارَةِ، وَمَعَ هَذَا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَمَا وَافَقُوهُ بَلْ كَذَّبُوهُ وَقَالُوا مُعَلَّمٌ مجنون، وهذا كقوله جلّت عظمته: ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنسَانُ وَأَنَّىٰ لَهُ الذِّكْرَىٰ * يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي﴾[٩] وكقوله عزّ وجلّ: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ فَزِعُوا فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُوا مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ * وَقَالُوا آمَنَّا بِهِ وَأَنَّىٰ لَهُمُ التَّنَاوُشُ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾[١٠]. وفي قولهم: معلّم مجنون يعنون بها: أنّ قيناً روميّاً كان يختلف إليه رسول الله i يعلّمه الإنجيل، وقد ذكر الحقّ تبارك

وتعالى هذه المقولة وردّ عليهم رداً أفحمهم بقوله: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ﴾[١١].

وقد ذكرها ابن كثير بقوله: يَقُولُ تَعَالَى مُخْبِرًا عَنِ الْمُشْرِكِينَ مَا كَانُوا يَقُولُونَهُ مِنَ الْكَذِبِ وَالِافْتِرَاءِ وَالْبُهْتِ أَنَّ مُحَمَّدًا إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ هَذَا الَّذِي يَتْلُوهُ عَلَيْنَا مِنَ الْقُرْآنِ بَشَرٌ وَيُشِيرُونَ إِلَى رَجُلٍ أَعْجَمِيٍّ كَانَ بَيْنَ أَظْهُرِهِمْ غُلَامٍ لِبَعْضِ بُطُونِ قُرَيْشٍ، وَكَانَ يَبِيعُ عِنْدَ الصَّفَا، وَرُبَّمَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ i يَجْلِسُ إِلَيْهِ وَيُكَلِّمُهُ بَعْضَ الشَّيْءِ، وَذَاكَ كَانَ أَعْجَمِيَّ اللِّسَانِ لَا يَعْرِفُ الْعَرَبِيَّةَ أَوْ أَنَّهُ كَانَ يَعْرِفُ الشَّيْءَ الْيَسِيرَ بِقَدْرِ مَا يَرُدُّ جَوَابَ الْخِطَابِ فِيمَا لَا بُدَّ مِنْهُ، فَلِهَذَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: رَادًّا عَلَيْهِمْ فِي افْتِرَائِهِمْ ذَلِكَ لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ أَيِ الْقُرْآنُ، أَيْ فَكَيْفَ يَتَعَلَّمُ مِنْ جَاءَ بِهَذَا الْقُرْآنِ فِي فَصَاحَتِهِ وَبَلَاغَتِهِ وَمَعَانِيهِ التَّامَّةِ الشَّامِلَةِ الَّتِي هِيَ أَكْمَلُ مِنْ مَعَانِي كُلِّ كِتَابٍ نَزَلَ عَلَى نَبِيٍّ أُرْسِلَ، كَيْفَ يَتَعَلَّمُ مِنْ رَجُلٍ أَعْجَمِيٍّ؟لَا يَقُولُ هَذَا مَنْ لَهُ أَدْنَى مُسْكَةٍ مِنَ الْعَقْلِ. قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ بْنِ يَسَارٍ فِي السِّيرَةِ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ i - فِيمَا بَلَغَنِي - كَثِيرًا مَا يَجْلِسُ عِنْدَ الْمَرْوَةِ إِلَى مَبِيعَةِ غُلَامٍ نَصْرَانِيٍّ يُقَالُ لَهُ جَبْرٌ، عَبْدٌ لِبَعْضِ بَنِي الْحَضْرَمِيِّ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ وَكَذَا قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ كَثِيرٍ، وَعَنْ عِكْرِمَةَ وَقَتَادَةَ: كَانَ اسْمُهُ يَعِيشَ[١٢].

وعندما ذكروا كلمة "مجنون" فهم يريدون أنْ يُبعدوا عنه i النّاس فهم كثيراً ما ينعتون الرّسول i بالجنون وبالسّفاهة ! ونعتوه كذلك بالسحر وبالكذب، قال تعالى: ﴿وَعَجِبُوا أَن جَاءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ﴾[١٣]. وهاتان صفتان تجعلان مشركي قريش يأملان في تنفير النّاس من رسول الله i ؛ لأنّ الرسول الكريم i كان ذا تأثير منقطع النظير في شباب قريش ورجالها ونسائها عموماً. وهناك صفة أُضيف على الكذب وهي المجنون، فمرّة نعتوا النبيّ i بالسحر وبالكذب، ومرّة بالجنون وبالكذب، قال تعالى: ﴿وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ * لَّوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلَائِكَةِ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾[١٤]. ومعنى قولهم: من الصادقين: أنّه i كاذب. ولأجل ذلك كانوا يحاولون الإساءة إليه بشتّى السبل حتّى وصل الأمر بهم بإلقاء القاذورات على رأسه وظهره، وكان منهم ابن أبي لهب وأُميّة بن خلف

وأبو جهل ومروان ابن الحكم بن العاصي أو العاص يؤذون رسول الله i بسفاهتهم، فقتل أبو جهل وأُميّة بن خلف وعتبة بن ربيعة وشيبة أخوه وابنه الوليد في يوم بدر فقال لهم رسول الله i : هل وجدتم ما وعدكم ربُّكم حقا، فقد وجدتُ ما وعدني ربي حقا (١٥). وروى مسلم: أن رسول الله i ترك قتلى بدر ثلاثاً. ثمّ أتاهم فقام عليهم فناداهم فقال: يا أبا جهل بن هشام! يا أمية بن خلف! يا عتبة بن ربيعة! يا شيبة بن ربيعة! أليس قد وجدتم ما وعد ربكم حقا؟ فإنّي قد وجدت ما وعدني ربي حقا فسمع عمر قول النبي i . فقال: يا رسول الله! كيف يسمعوا وأنى يجيبوا وقد جيفوا؟ قال: والذي نفسي بيده! ما أنتم بأسمع لما أقول منهم. ولكنّهم لا يقدرون أنْ يجيبوا ثمّ أمر بهم فسحبوا. فألقوا في قليب بدر(١٦).

وقد أشار الوليد بن المغيرة المخزومي على قريش بأنْ يتهموه بالسحر إذْ قال: والله إن لقوله حلاوة، فما أنتم بقائلين من هذا شيئا إلا عرف أنه باطل، ثمّ إنّه فكر وتروي وقدر ماذا يقول في القرآن وأعاد النظر والتروي ثُمّ قبض بين عينيه وقطب وصرف عن الحق واستكبر عن الانقياد إلى القرآن، ثمّ قال: أقرب القول أنْ تقولوا: هو ساحر، فأنزل الله فيه: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا * وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَمْدُودًا * وَبَنِينَ شُهُودًا * وَمَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيدًا * ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ * كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا * سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا * إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ * فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ * ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ * ثُمَّ نَظَرَ * ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ * ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ * فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ * إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ * سَأُصْلِيهِ سَقَرَ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ * لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ * لَوَّاحَةٌ لِلْبَشَرِ * عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾(١٧).

ونزلت هذه الآيات من سورة المدّثر في بداية الدعوة الإسلاميّة، وبعضهم يرى أنّها أوّل ما نزل من القرآن الكريم، وقال القرطبيّ في تفسيرها: حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قوله: ذرني ومن خلقت وحيدا وجعلت له مالا ممدودا إلى قوله: إنْ هذا إلا سحر يؤثر قال: هذا الوليد بن المغيرة قال: سأبتار لكم هذا الرجل الليلة، فأتى النبي i ، فوجده قائما يصلي ويقترئ، وأتاهم فقالوا: مه، قال: سمعت قولا حلوا أخضر مثمرا يأخذ بالقلوب، فقالوا: هو شعر، فقال: لا والله ما هو بالشعر، ليس أحد أعلم بالشعر منّي، أليس قد عرضت علي الشعراء شعرهم نابغة وفلان وفلان؟ قالوا: فهو كاهن، فقال: لا والله ما هو بكاهن، قد عرضت علي الكهانة، قالوا: فهذا سحر الأولين اكتتبه،

قال: لا أدري إن كان شيئا فعسى هو إذا سحر يؤثر، فقرأ: فقتل كيف قدر ثم قتل كيف قدر قال: قتل كيف قدر حين قال: ليس بشعر، ثم قتل كيف قدر حين قال: ليس بكهانة[١٨].

وعندما قال تعالى: ثمّ يطمع أن ازيد كلا، لم يزد الوليد من المال أو الولد شيئاً، بل هما في نقصان، قال صاحب الميزان: وقوله: كلّاردع له، وقوله: إنّه كان الخ تعليل للردع، والعنيد المعاند المباهي بما عنده، قيل، ما زال الوليد بعد نزول هذه الآية في نقصان من ماله وولده حتى هلك[١٩].

واتهمتْ قريش الرسول بالشعر وبالكهانة فردّ القرآن الكريم عليهم هاتين التهمتين بقوله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ * وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَا تُؤْمِنُونَ * وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ﴾[٢٠]. وعن طريق هذه التّهم التي كِيْلت للرسول الكريم أوّل دعوته تبيّن ضعف قريش أمامه وأمام القرآن الكريم الذي نزل عليه ولمْ يستطيعوا مجاراتها وأخذوا يتخبّطون في "جنس" القرآن هل هو شعر؟ أو كهانة؟ أو سحر؟ أو غير ذلك، فمن الطبيعي أنْ تكون الأقوام التي جاءت بعد عهد الرسالة أعجز وأضعف من أنْ يأتوا بمثل القرآن الكريم. وهذا هو التحدّي الذي طرحه القرآن الكريم وهو باقٍ إلى يوم الدين؛ لأنّ عرب ما قبل الإسلام كانوا من الفصاحة والبلاغة بمكان عالٍ لا تستطيع أيّة أُمّة آنذاك التغلّب عليهم.

ولكنّ الحقيقة التي ينبغي أنْ أُشير إليها هنا: أنّ التحدّي الذي طُرح كان العرب يُشفقون منه لأسباب أُخرى غير الذي يتبادر إلى الذهن وما يذهب إليه علماء الإعجاز، وهو ما يتعلّق بمعرفة الغيب وما مرّت به الأمم السابقة، كأُمّة نوح a ، فقد قال تعالى: ﴿تِلْكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَا أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾[٢١]. فلا رسول الله i ولا قومه يعلمون هذه القصّة قبل أنْ يأتي بها القرآن الكريم. فالرّفض الذي قُوبلتْ به عقيدة الإسلام لمْ يكنْ رفضاً بمستوى تلك العقيدة؛ بل كان رفضاً لأجل الرّفض فقط؛ إذْ لمْ يصل إلينا - لا من خلال الوحي ولا من خلال التأريخ - أنّ أحداً من عظماء قريش أو أحداً من الشعراء - وهاتان الفئتان هما المرشّحتان لمعارضة القرآن الكريم ولمْ يكن مانع لغيرهما من المعارضة؛ قد عارض القرآن الكريم.

ومن أراد المعارضة كمسيلمة الكذّاب والأسود العنسي وسجاح صاروا أُضحوكة

للتندّر من الناس والضحك على سفاهتهم وحماقتهم. ودلّت كتب التاريخ على سوء أخلاقهم وتفاهة أفعالهم(٢٢).وإذْ بدأنا بالعقيدة الإسلاميّة وما واجهته من رفض فإنّنا لا نعدم هذا الرّفض لعقيدة الأنبياء الذين جاؤوا قبل رسول الله i ؛ لكنّه i قد لاقى من الصدّ والرّفض ما لمْ يلقه نبيٌّ قبله، ولاقى من التهم الكثيرة - كما رأينا - ما لمْ يُتهم نبيّ آخر قبله i .وطُلب منه i ما لمْ يُطلب من نبيّ آخر(٢٣).

وروى البخاري عن السيّدة عائشة: أنّها قالَتْ للنَّبيِّ i : هلْ أتَى عَلَيْكَ يَوْمٌ كانَ أشَدَّ مِن يومِ أُحُدٍ؟ قالَ: لقَدْ لَقِيتُ مِن قَوْمِكَ ما لَقِيتُ، وكانَ أشَدَّ ما لَقِيتُ منهمْ يَومَ العَقَبَةِ، إذْ عَرَضْتُ نَفْسِي علَى ابْنِ عبدِ ياليلَ بنِ عبدِ كُلالٍ، فَلَمْ يُجِبْنِي إلى ما أرَدْتُ، فانْطَلَقْتُ وأنا مَهْمُومٌ علَى وجْهِي، فَلَمْ أسْتَفِقْ إلَّا وأنا بقَرْنِ الثَّعالِبِ، فَرَفَعْتُ رَأْسِي، فإذا أنا بسَحابَةٍ قدْ أظَلَّتْنِي، فَنَظَرْتُ فإذا فيها جِبْرِيلُ، فَناداني فقالَ: إنَّ اللَّهَ قدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ، وما رَدُّوا عَلَيْكَ، وقدْ بَعَثَ إلَيْكَ مَلَكَ الجِبالِ لِتَأْمُرَهُ بما شِئْتَ فيهِم، فَناداني مَلَكُ الجِبالِ فَسَلَّمَ علَيَّ، ثُمَّ قالَ: يا مُحَمَّدُ، فقالَ ذلكَ فِيما شِئْتَ، إنْ شِئْتَ أنْ أُطْبِقَ عليهِمُ الأخْشَبَيْنِ، فقالَ النَّبيُّ i : بَلْ أرْجُو أنْ يُخْرِجَ اللَّهُ مِن أصْلابِهِمْ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ وحْدَهُ لا يُشْرِكُ به شيئًا(٢٤). وعندما بُعث النبي نوح a إلى قومه لبث فيهم يدعوهم إلى عقيدة التوحيد ألف سنة إلّا خمسين عاماً؛ لكنّهم رفضوا القبول بعقيدة التوحيد، قال تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ * قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ * أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ﴾(٢٥).

فعندما أرسله الله تبارك وتعالى طلب منه الإنذار؛ وهذا يدلّ على أنّه تعالى يعلم أنّهم سيرفضون وإلّا لو كانت الدعوة أو الإنذار هيّنين ليّنين لمَ يأتي الإنذار إذاً؟ وعندما قال نوح a : أنِ اعبدوا الله بعد أنّ نفّذ ما أراده ربّه منه بانّه نذير مبين أيْ منذر ليس غيرا وطلب منهم طاعته؛ ليبيّن لهم - بعد هذه الطّاعة - العقيدة الحقّة. وبعد فعل الطلب اعبدوا جاء جوابه يغفرْ، قال تعالى: ﴿يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾(٢٦). فقرن عقيدة التوحيد بأمور منها غفران الذنوب، وهذا يعني أنّهم يرتكبون الذنوب؛ ولأنّ الله تعالى غفّارٌ للذّنوب قال لهم: إنّه سيغفرها لهم، فالله تبارك وتعالى لا يريد لعباده الكفر ولمْ يبعثْ نبيّاً ليعذّبهم. ومنها تأخير الأجل، فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون وعندئذٍ يفوت الأوان. ومع هذا كان الرّفض هو عنوان قوم نوح a ؛ لذلك

أخبر الله تبارك وتعالى نبيّه بأنْ لا يتوقّع إيمان غير إيمان من آمن به سلفاً، قال تعالى: ﴿وَأُوحِيَ إِلَى نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾[٢٧]. فكانوا يقولون له: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ * قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾[٢٨]. وقول النبي a : إنّي أخاف عليكم عذاب يوم عظيم ينبئ بأنّه مرسل حقّاً؛ لأنّه يخاف عليهم ومن يخاف على آخر فهو يحبّه ولا يريد أذاه. والنبيّ يمهّد لقبول العقيدة بهذا التمهيد المحبّب. لكنّ الملأ من قومه قالوا له: إنّا لنراك في ضلال مبين، فردّ نوح a : ﴿قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ * أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ * أَوَعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنْذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾[٢٩]. فبيّن لهم a - بمحاججة لطيفة من لدنه - أنّه مرسل ومبلّغ وناصح وهو يعلم من الله ما لا يعلمون - وهو ما تكرّر عند الأنبياء الذين جاؤوا من بعده نوح a - فما كانت منهم إلّا استجابة واحدة هي: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ﴾[٣٠]. فما أسرعها من استجابة وكم كانت قبيحة ! فاختصر القرآن بعد كلمة: فكذّبوه بقوله: فأنجيناه؛ لأنّه بيّن مراحل عديدة قبل الغرق في آيات من سور أُخرى.

وعندما بُعث هود a [٣١]. إلى قومه عاد قال لهم: ﴿وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾[٣٢]. وهذا كلام رقيق صدر من رجلٍ إلى قومه يقول لهم: ليس هناك إله غير إلهكم وهو الله، فما كان من الكفّار من قومه إلّا أنْ قالوا: ﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾[٣٣].

وأنت إذْ ترى التفاوت بين الخطابين، خطاب النبيّ هود a الرقيق والرّفيق بهم، وخطابهم الذي شتم نبيّهم وهو واحد منهم، وما أصعب على الإنسان حين يقال له: سفيه؟! وأضافوا صفة الكذب على السّفاهة! وهم بهذا ما يريدون إلّا إسقاط ما يدعو إليه من عقيدة التوحيد. والسفاهة: خفّة عقل وضلالة عن الحق، وأصل السّفاهة: الخفّة في البدن، ومنه قيل: زمام سفيه: كثير الاضطراب، وثوب سفيه: رديء النسج، واستعمل في خفة النفس لنقصان العقل، وفي الأمور الدنيويّة، والأخرويّة، فقيل: سفه نفسه، وأصله

سفهت نفسه، فصرف عنه الفعل. وقولهم: وإنا لنظنُّك من الكاذبين في رسالتك[٣٤].قال الكبراء الذين كفروا من قوم هود: إنا لنعلم أنك بدعوتك إيانا إلى ترك عبادة آلهتنا وعبادة الله وحده ناقص العقل، وإنا لنعتقد أنك من الكاذبين على الله فيما تقول [٣٥].

وإنّنا لنلاحظ أنّ الملأوهم كبار القوم والمتنفّذون في كلّ زمان ومكان هم الذين يتصدّون إلى النبيّ؛ لاعتقادهم أنّ مصالحهم ستذهب وهم بهذا يحرمون الآخرين من قوم النبيّ من الإفادة من خيره وبركاته. وهم من المكر بمكان؛ لاتهام النبيّ بالكذب وبالسّفاهة شخصيّاً ولمْ يتعرّضوا إلى الله مباشرة. فهو منهم ويسهل عليهم كيل التّهم له. وإذا ما امعنا النظر في سياق الآيات الآتية: ﴿قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ * أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ * أَوَعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنْذِرَكُمْ وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ * قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ * قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ أَتُجَادِلُونَنِي فِي أَسْمَاءٍ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ * فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَمَا كَانُوا مُؤْمِنِينَ﴾[٣٦]. فردّ النبيّ هود a ردّاً جميلاً فقال لهم: ليس بي سفاهة وإنّي ناصح لكم وذكّرهم بخلافتهم من بعد نوح وزادهم في الخلقة بسطة؛ لكنّهم غير مستعدّين لترك آلهتهم وتحدّوا النبيّ وجادلوه فقال النبيّ: أنتظروا وأنا معكم من المنتظرين فوقع أمر الله.

ونلحظ سياقاً آخر لهذه القصّة في سورة هود، إذْ يتجه الخطاب نحو الشدّة والحدّ؛ لأنّ أجواء سورة هود تختلف عن أجواء سورة الأعراف، قال تعالى: ﴿وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ﴾[٣٧].

فكلمة "مفترون" وهي شتيمة لنعت قومه بالإفتراء، وهي أكثر شدّة من كلمة "تتقون" في سورة الأعراف؛ لأنّ أجواء سورة هود مشحونة بالحدّة؛ فلمْ يطلب النبي أجراً وهذا يدلّ على عدم ثقته بقومه في أمر العقيدة وقال لو عبدتم الله لأرسل عليكم السماء مدراراً ويزيدكم قوّة إلى قوّتكم - قوم هود a كانوا أقوياء - ثمّ قال: لا تتولّوا مجرمين وهذه كلمة ثقيلة ! فأجابوه بأنّهم لم يتركوا آلهتهم وأنت يا هود اعتراك بعض آلهتنا بسوء، ومن خلال

ردّ هود a عليهم والكلمات التي استعملها من مثل: بريء ممّا تشركون و فكيدوني و يستخلف قوماً آخرين ترى أنّ الأجواء فيها حدّة ثم ذكر العذاب الغليظ ليلائم تلك الشدّة وتلك الحدّة في الخطاب ثم قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ﴾ - ويبدو أنّ هناك رسلاً غير هود a بُعثوا إليهم - واتبعوا أمر كلّ جبّار عنيد ! فهذه الأجواء شديدة ومشحونة لاءمتها الكلمات والسّياق ملاءمة عجيبة.وفي بعثة صالح a الذي أُرسل إلى ثمود بعد قوم عاد، قال تعالى: ﴿وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ * وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾[٣٨].

نجد الخطاب يتشابه مع خطاب هود a مع أنّ ثمود جاؤوا بعد ما حلّ بعاد العذاب. وأرفق صالح a خطابه ببيّنة وهي: الناقة، وقد سمّاها القرآن: الناقة مبصرة[٣٩] أيْ: آية مبصرة[٤٠]. فانبرى - على غرار عاد قوم ثمود الملأ من قومه فأجابوا: ﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مُرْسَلٌ مِنْ رَبِّهِ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ * قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي آمَنْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ﴾[٤١]. وواجهوه بالشرّ ووقع المحذور، قال تعالى: ﴿فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يَا صَالِحُ ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ * فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ * فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ﴾[٤٢] وفي الحقيقة أنّ رجلاً واحداً مشؤوماً شقيّاً هو الذي عقرها، وهو: قُدَار بن سالف، عاقر الناقة، ويقال له أيضاً: قُدَار بن قُدَيرة، وهي أمّه، وهو الذي عَقَر ناقة صالح a ، فأهلك الله بفعله ثمودَ[٤٣]. وهذا من الوهم، والأصحّ أنْ يُقال: أحمر ثمود، ولكنّ الله تعالى نسب الفعل إلى ثمود؛ لرضاهم بالفعل ومشاركتهم الشرّ.

وقال تعالى في سورة الشّمس: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا * إِذِ انْبَعَثَ أَشْقَاهَا * فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا * فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذَنْبِهِمْ فَسَوَّاهَا * وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا﴾[٤٤]. وفي بعثة النبي إبراهيم a لقومه، قال لأبيه ولقومه: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ

وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾(٤٥). فرفضوا دعوته وحاجّوه: ﴿وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾(٤٦). وجاء رفضهم عن طريق المحاججة بعدم قبولهم عقيدة التوحيد، وبتهديدهم بالرجم وبالهجر عن طريق أبيه، قال تعالى: ﴿قَالَ أَرَاغِبٌ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا﴾(٤٧). فاضطرّ a إلى اعتزالهم، قال تعالى: ﴿وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُو رَبِّي عَسَى أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا(٤٨)فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا * وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِنْ رَحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا﴾(٤٨). وحين اعتزلهم كافأه الله تعالى ورزقه بإسحاق ابناً وبيعقوب حفيداً. ووهبه وإيّاهما رحمة من لدنه وجعل لهم لسان صدق عليّاً وتلك منزلة عظيمة. وجاء رفضهم حين قال لهم a : ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ﴾(٤٩). بقولهم: ﴿قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ﴾(٥٠). فلمْ يقف النبيّ a معهم عند هذا الحدّ بل حاجّهم بقوله: ﴿قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾(٥١).

وقول إبراهيم a يُثبت شخصيّته القويّة وصلابته في الدفاع عن عقيدة التوحيد، وكان يعرف عنادهم وحجاجهم بالباطل، إذْ قالوا يحاجّونه: ﴿قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ * قَالَ بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَى ذَلِكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ * وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ(٥٧)فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ﴾(٥٢). وردّه a فيه ثبات وطمأنينة وصدق لهجة، فضلاً عن انّه كلام كبير وخطير، فلمْ يكنْ أمراً شخصيّاً وعاديّاً أنْ يتكلّم شخصٌ بمثل هذا الكلام. فكسّر أصنامهم وترك الصنم الكبير؛ ليحاجّهم فيه إذا رجعوا إليه! فما كانوا ليرجعوا إليه؛ بل ﴿قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾(٥٣). فجاء الجواب: ﴿قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ﴾(٥٤). فقالوا - ويبدو أنّه قول المتنفّذين منهم -: ﴿قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ * قَالُوا أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ * قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ * فَرَجَعُوا إِلَى أَنْفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ * ثُمَّ نُكِسُوا عَلَى رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ * قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ * أُفٍّ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ * قَالُوا

حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ * قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ * وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ﴾ (٥٥).

فاستمرّ الحجاج بين النبيّ إبراهيم a وبين قومه على هذه الشّاكلة من الشدّ والجذب إذْ طلب المتنفّذون إحضاره على أعين النّاس؛ اعتقاداً منهم أنّ هذا الإحضار سينفعهم؛ ولكنّه سيضرّهم من دون أنْ يُشعروا، ولا يُستبعد أنْ يكون النبيّ a كان راضياً؛ لإثبات عقيدة التوحيد دفعة واحدة أمام الملأ. وعندما سألوه: أأنت فعلت هذا بآلهتنا؟ فقال: بل فعله كبيرهم هذا! (٥٦).

فسُقط في أيديهم ونُكسوا على رؤوسهم. فقال لهم إبراهيم a بعد أنْ بان انتصاره عليهم: أفتعبدون من دون الله ما لا ينفع ولا يضرّ، أُفٍّ لكم ولما تعبدون من دون الله. والغريب أنّهم لم يقفوا عند هذا الحدّ؛ بل قالوا: حرّقوه وكأنّهم لا يريدون الحق من وراء هذا الحجاج. وفعلاً رموه بالنّار فتحوّلت إلى بردٍ وسلام بأمر الله تعالى. وفي بعثة النبيّ شعيب a نجد الخطاب الذي استعمله يُشبه كثيراً خطاب النبيّ صالح a ؛ فقد ذكر البيّنة مثلما ذكرها صالح a باختلاف "جنس" البيّنة فصالح a حدّدها البيّنة بالنّاقة في حين لمْ يحدّد شعيب a البيّنة في قوله تعالى: ﴿وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (٥٧). ولكنّ شعيباً قد طلب من قومه - أهل مدين او أصحاب الأيكة - أُموراً إلى جانب التوحيد أكثر من طلب صالح a الذي تمثّل بالمحافظة على النّاقة، فردّ أصحاب الأيكة على النبيّ شعيب a ردّاً يُشبه ردّ عاد على نبيّهم هود a ، إذْ: ﴿قَالُوا إِنَّمَا أَنتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ * وَمَا أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ (٥٨).

وهذه الأمثلة المنتقاة من القرآن الكريم، تبيّن الطريقة التي اتّبعها أنبياء الله d أجمعين مع أقوامهم، وهي طريقة رشيدة حكيمة اتّصفت بالرّفق وباللّين؛ من أجل إقناع تلك الأقوام بطريق الهدى والرّشاد. وهذه الطريقة يتشابه فيها النبيّون - عموماً - مع بعض الإختلافات الطّفيفة التي انفرد بها كلّ نبيذ؛ تبعاً لحظّ كلّ قوم من العلم.

ثانياً: قبول العقيدة

وفي مقابل رفض العقيدة من أقوام كلّ نبيّ، وقد رأينا أنّ الذين ذهبوا إلى هذا الرّفض أكثر القوم؛ لأنّ النّافذين ذوو تأثير كبير على أقوامهم؛ فبيدهم الأموال والتأثير، وربّما استعبدوا كثيراً من النّاس فلا يستطيع النبيّ إنقاذ كلّ النّاس ومفاداتهم بالأموال.

وهذا أمرٌ لمسناه عند رسول الله i فقد استطاع - بمساعدة أثرياء قريش من الصحابة الأوائل - انْ يحرّروا بعض الذين آمنوا بنبوّة محمّد i .وقد قرن القرآن الكريم تحرير الرّقبة باقتحام العقبة؛ لما لهذا التحرير من أهميّة قصوى، قال تعالى: ﴿فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ * فَكُّ رَقَبَةٍ﴾(٥٩).

ومن الطبيعي انْ يكون المؤمنون قلّة، ولا سيّما من الضعفاء؛ وهؤلاء - عادة - ما يلاقون الإحتقار والسّخرية من الأثرياء الكافرين والرّافضين للنبيّ، فواجه النبيّ نوح a متنفّذي قومه إذْ أجابوه: ﴿فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ﴾(٦٠).

وقد فسّر ابن كثير كلمة "أراذلنا" بقوله: فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِه وَالْمَلَأُ هُمَ السّادَةُ وَالْكُبَرَاءُ مِنَ الْكَافِرِينَ مِنْهُمْ مَا نَرَاكَ إِلّا بَشَراً مِثْلَنا أَيْ لَسْتَ بِمَلَك وَلَكِنّكَ بَشَرٌ فَكَيْفَ أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ دُونِنَا ثُمّ مَا نَرَاكَ اتبعك إلا الذين هم أَرَاذِلُنَا كَالْبَاعَةِ وَالْحَاكَةِ (٦١).وأمره الله تعالى أنْ لا يطرد المؤمنين الذين آمنوا معه إذْ قال تعالى: ﴿وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ﴾(٦٢).

وفي تسميتهم بالمؤمنين تكريم ما بعده تكريم. وكان موسى a ينافح ويجاهد فرعون في أمر بني إسرائيل الذين ينوؤون بأعبائه وكان قد استضعفهم واستحيا نساءهم، قال تعالى: ﴿فَأْتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى﴾(٦٣). فلو كانوا أقوياء لما عذّبهم، وتركّزت بعثة موسى a على إنقاذهم أصلاً. وكان أتباع عيسى a من الضعفاء كذلك، قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾(٦٤).

وقيل في معنى اتبعوك: المؤمنون(٦٥). ولو لم يكونوا ضعفاء لما صارت الحاجة إلى رفعهم فوق الكفّار الذين هيمنوا على مقاليد الأمور في زمنه a . فالضّعفاء يجدون في النبيّ الرّحمة والإحتواء والتقبّل، فهم مرفوضون من مجتمع الأثرياء. فقد طلب أشراف مكّة من رسول الله بعد أنْ رأوا الضّعفاء والموالي والفقراء يُحيطون به من أمثال بلال وعمّار وصهيب وخباب وعبد الله بن مسعود - رضي الله عنهم - أنْ يطردهم ويجلس معهم مجلساً خاصّاً على حدة، فأمره الله تعالى أنْ يصبر نفسه مع هؤلاء الضّعفاء، إذْ قال تعالى: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾(٦٦).

ولو علم الأثرياء أنّ الفقراء أوّل من يدخل الجنّة لأعادوا النظر فيما هم فيه، فقد قال رسول الله i : هل تدْرون أوّلَ مَنْ يدخل الجنة من خلق الله؟، قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: أوّل منْ يدخل الجنةَ من خلقِ الله الفقراء والمهاجرون، الذين تسدُّ بهم الثُّغور، ويتّقَى بهم المكارِه، ويموت أحدهم وحاجته في صدره، لا يستطيع لها قَضَاء(٦٧).

وكثيراً ما ينصبّ أذى المتنفّذين على اتباع النبيّ من الضّعفاء تحديداً. أو يحسبونهم مع النبيّ حساباً واحداً، قال تعالى في شأن من اتّبع شعيباً a : ﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِن قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا﴾(٦٨). فهناك مؤمنون إلّا انّهم ضعفاء بدليل أنّ الملأ قالوا: لنخرجنّك يا شعيب والذين آمنوا منكم، فلو كانوا أقوياء لما تجرّأوا على خطابهم بهذه الطريقة.

وأنت ترى اليوم أنّ الدول القويّة لا يجرؤ احد على حربها او استفزازها، في حين تعاني الدول الفقيرة والمتخلّفة من الاستعمار والتدخّل في شؤونها الداخليّة؛ ولذلك قال رسول الله i : المؤمن القوي خير وأحبّ إلى الله من المؤمن الضّعيف وفي كلٍّ خير(٦٩). لمعرفته i بمقدرة القوي في خدمة الإسلام والمسلمين. مع الأخذ في الحسبان معنى القوّة هنا(٧٠).

وقد ذكر القرآن حال النبوّات مع أقوامها، وذكرت الأحاديث الشريفة أنّ النبي محمد i هو أكثر الأنبياء اتباعًا وأنّه قد يأتي يوم القيامة بعض الأنبياء وليس معهم أتباع أبدًا وقد يأتي بعضهم الآخر ومعه الرجل والرجلين ومن الأدلة على أنّ عدد أتباع الأنبياء ليس

واحداً وأنّ منهم من لا يؤمن بدعوته أحد؛ قول رسول الله i : عُرِضَتْ عَلَيّ الأُمَمُ، فَرَأَيْتُ النبيّ i ومعهُ الرُّهَيْطُ، والنبيّ ومعهُ الرّجُلُ والرّجُلانِ، والنبيّ ليسَ معهُ أحَدٌ[٧١].

وفي هذا الحديث ملمحٌ عظيم من ملامح الدعوة وهو أنّ الدعوة وإن كانت صادقة فلا يلزم منها الإجابة فالداعي إلى الله يمكن أنْ يحقق جميع الشروط ويكون مخلصاً وصادقاً في دعوته ولكن لا يُكتب لدعوته القبول وهذا راجع إلى طبيعة المدعوين[٧٢].

ولابدّ من معرفة انّ أيّ نبيّ لمْ يُرسل إلى الأغنياء تحديداً، ولمْ يُرسل إلى الفقراء تحديداً؛ إنّما أُرسل إلى قومه بفقرائهم وبأغنيائهم باستثناء الرسول الكريم i فقد أُرسل إلى الناس كافّة على اختلاف قوميّاتهم وألوانهم وألسنتهم وإمكانيّاتهم الماديّة والإجتماعيّة؛ إلّا أنّ المتنفّذين والأثرياء يقفون بوجه كلّ نبيّ يحاربونه ويحاربون من يؤمن معه من الضّعفاء؛ لأنّهم يستطيعون إيذاءهم.

وقضيّة أنّهم يرفضون دعوة النبيذ بحجّة أنّ أراذل القوم اتبعوه غير مقبولة ولا تصمد أمام الدّليل، فحين بُعث رسول الله i آمن به أبو بكر وهو رجل ثريّ ومن تيم من قريش وآمن به عليّ بن أبي طالب a وهو فتىً من بني هاشم من قريش، وآمن به عمر بن الخطّاب وهو من عديّ من قريش وآمن به أسد الله وأسد الرسول حمزة بن عبد المطّلب وهو من بني هاشم من قريش وآمن به عثمان بن عفّان وهو من بني أُميّة من قريش وغيرهم، وكلّهم صناديد أقوياء مثلما آمن به بلال وصهيب وعمّار وزيد بن حارثة وخباب وهؤلاء من ضعفاء المسلمين وفقرائهم.

فمصلحة القوم تتطلّب البحث عن "منقصة" تبعاً لأهوائهم. وعلى أيّة حال، فالإيمان قوّة بحدّ ذاته ليس به حاجة إلى قوّة مال أو غيره، وتبقى اهميّته قائمة لتسهيل أُمور الحياة ولدعم الإسلام.

الخاتمة:ـ

- إنّ العقيدة التي كان الأنبياء والمرسلون يدعون إليها كانت عقيدة التوحيد، وهي عقيدة أساسيّة.
- لقد بذل الأنبياء والمرسلون ما بوسعهم؛ من اجل إيصال عقيدة التوحيد إلى أقوامهم من دون انْ يسألوا أجراً، وهذا من أوضح الأدلّة على صدقهم ونبل أخلاقهم.

- لقد فقد الأنبياء أقاربهم وأصدقاءهم نتيجة لتعذيب المتنفّذين الذين يقفون ضدّ الأنبياء.
- تعرّض الأنبياء للقتل وللنّفي وللتشريد جرّاء صلف وجور أقوامهم.
- اتّهم الأنبياء والمرسلون بتهم عدّة، من مثل السّحر والكهانة والجنون والكذب والشعر وهم صابرون محتسبون.
- يصف المتنفّذون من قوم كلّ نبيّ أتباع نبيّهم بالأرذلين؛ لأنّهم لا يريدون الإيمان به ولا بنبوّته.
- إنّ اتّهام النبيّ بضعف أتباعه غير صحيحة؛ إذْ نجد الأقوياء إلى جانب الضعفاء من أتباع النبيّ ومن المضحّين من اجل رسالته.
- إنّ أكثر قوم كلّ نبيّ هم من الرّافضين لدعوته، ما بين نافذ وثريّ يخاف على ثروته وما بين تابع له، في حين تقف القلّة الباقية من المستعدّين للتضحية إلى جانب النبيّ.
- لقد بشّر رسول الله i الفقراء من أُمته من الذين يسدّون الثّغور بأنّهم أوّل من يدخل الجنّة.
- أرجع رسول الله i الرّزق إلى وجود الفقراء بين صفوف المسلمين، وهذه بشارة عظيمة بأهميّتهم للإسلام.

هوامش البحث

(١) سورة البقرة: ٢٨٥.

(٢) السيرة النبويّة لابن إسحاق: ٤٦. وذكر ابن إسحاق ما فعله رسول الله i من دعوة عشيرته على وليمة أقامها، سيرة ابن إسحاق: ٤٧.

(٣) السيرة النبويّة لابن إسحاق: ٤٦.

(٤) السيرة النبويّة لابن إسحاق: ٥٠.

(٥) ظ: م. ن: ٥١. وكان أبو لهب ضدّه ويقول: قد نصرت اللّات والعزّى فنزلتْ ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ سورة المسدّ / ١.

(٦) سورة القلم: ١٣.

(٧) ظ: السيرة النبويّة لابن إسحاق: ٥٢.

(٨) سورة الدخان: ١٣ - ١٤. ونفت الآية: ﴿مَا أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ﴾ سورة ن / ٢.

(٩) سورة الفجر: ٢٣ - ٢٤.

(١٠) تفسير ابن كثير: ٧ / ٢٣٠. والآية في: سورة سبأ: ٥١ - ٥٤.

(١١) سورة النحل: ١٠٣.

(١٢) تفسير ابن كثير ٤ / ٥١٨. وظ: السيرة النبويّة لابن هشام: ٢ / ٢٩.

(١٣) سورة ص: ٤.

(١٤) سورة الحجر: ٦ - ٧.

(١٥) مناقب آل أبي طالب: ١ / ٥٥.

(١٦) صحيح مسلم، ٤ / ٢٠٣. رقم الحديث: ٢٨٧٤.

(١٧) سورة المدّثر: ١١ - ٣٠.

(١٨) الجامع لأحكام القرآن: ١٩ / ٧٤.

(١٩) الميزان في تفسير القرآن: ٢٠ / ٨٦.

(٢٠) سورة الحاقّة: ٤٠ - ٤٢.

(٢١) سورة هود: ٤٩.

(٢٢) ظ في أخبارهم: المنتظم في تاريخ الأُمم والملوك: ٤ / ١٧.

(٢٣) ظ في تلك المطالب: إدّعاء أنّ النبي صلّى الله عليه كان يتملّص من مطالب المشركين واليهود، مقال على شبكة المعلومات الدوليّة.

(٢٤) صحيح البخاري: ٤ / ١١٠، برقم: ٣٢٣١.

(٢٥) سورة نوح: ١ - ٣.

(٢٦) سورة نوح: ٤.

(٢٧) سورة هود: ٣٦.

(٢٨) سورة الأعراف: ٥٩ - ٦٠.

(٢٩) سورة الأعراف: ٦١ - ٦٣.

(٣٠) سورة الأعراف: ٦٤.

(٣١) النبيّ هود a والنبيّ صالح a الذي سياتي ذكره بعد هود a عربيّان وهما قبل إسماعيل a الذي قيل إنّ العرب ترجع إليه ثمّ النبيّ شعيب a بعد إسماعيل a ورسول الله i عربيّان. وهذا يثبت انّ العرب قبل إسماعيل الذّبيح a . وظ: صالح a ومعجزة الناقة للدكتور طارق السّويدان، مقال على شبكة المعلومات الدّوليّة.

(٣٢) سورة الأعراف: ٦٥.

(٣٣) سورة الأعراف: ٦٦.

(٣٤) ظ: تفسير الجلالين: ٢٠٣. وظ لسان العرب: مادة: سفه ففيه تفصيل لهذه المادة اللغويّة.

(٣٥) التفسير الميسّر: ١ / ١٥٨.

(٣٦) سورة الأعراف: ٦٧ - ٧٢.

(٣٧) سورة هود: ٥٠.

(٣٨) سورة الأعراف: ٧٣ - ٧٤.

(٣٩) في قوله تعالى: ﴿وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا﴾ سورة الإسراء: ٥٩.

(٤٠) ظ: الجامع لأحكام القرآن: ١ / ٣٤.

(٤١) سورة الأعراف: ٧٥ - ٧٦.

(٤٢) سورة الأعراف: ٧٧ - ٧٩.

(٤٣) مجمع الأمثال: ١ / ٣٧٩.

(٤٤) سورة الشّمس: ١١ - ١٥.

(٤٥) سورة الأنعام: ٧٤.

(٤٦) سورة الأنعام: ٨٠.

(٤٧) سورة مريم: ٤٦.

(٤٨) سورة مريم: ٤٨ - ٥٠.

(٤٩) سورة الأنبياء: ٥٢.

(٥٠) سورة الأنبياء: ٥٣.

(٥١) سورة الأنبياء: ٥٤.

(٥٢) سورة الأنبياء: ٥٦ - ٥٨.

(٥٣) سورة الأنبياء: ٥٩.

(٥٤) سورة الأنبياء: ٦٠.

(٥٥) سورة الأنبياء: ٦١ - ٧٠.

(٥٦) وعُدّت هذه من الكذبات الثلاث، وفيها أخذ وردّ، ظ: صحيح البخاري: ٤ / ٨٤٠، فقد رواها.

(٥٧) سورة الأعراف: ٨٥.

(٥٨) سورة الشعراء: ١٨٥ - ١٨٦.

(٥٩) سورة البلد: ١١ - ١٣.

(٦٠) سورة هود: ٢٧. وقال تعالى أيضاً في شأن أتباع نوح a : ﴿قَالُوا أَنُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ﴾ سورة الشعراء: ١١١.

(٦١) تفسير ابن كثير: ٤ / ٢٧٤.

(٦٢) سورة الشعراء: ١١٤. وظ: مقال لها المحمدي على شبكة المعلومات الدوليّة بعنوان: أتباع الرّسل.

(٦٣) سورة طه: ٤٧.

(٦٤) سورة آل عمران: ٥٥.

(٦٥) تفسير الطبري: ٦ / ٤٦٣.

(٦٦) سورة الكهف: ٢٨.

(٦٧) مسند الإمام احمد بن حنبل: ٦ / ١٤٢ - ١٤٣.

(٦٨) سورة الأعراف: ٨٨.

(٦٩) صحيح مسلم: ٤ / ٥٢.

(٧٠) ظ: شرح حديث: المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، مقال على شبكة المعلومات الدوليّة.

(٧١) صحيح مسلم: ١ / ١٩٩.

(٧٢) ظ: السبب في اختلاف عدد اتباع الأنبياء، مقال على شبكة المعلومات الدوليّة للخنساء حميد الصالح.

قائمة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.
- تفسير الجلالين، جلال الدين محمد بن أحمد المحلي وجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، دار الحديث - القاهرة، الطبعة الأولى.
- تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، تحقق محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون - بيروت، الطبعة الأولى - ١٤١٩ هـ.
- التفسير الميسر، نخبة من أساتذة التفسير، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف السعودية، الطبعة الثانية، مزيدة ومنقحة، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.
- الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله، محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، تحقيق أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية - القاهرة، الطبعة ٢الثانية، ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م.

- السيرة النبويّة، لابن إسحاق، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٧٨ م.
- السيرة النبوية لابن هشام، جمال الدين أبو محمّد عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، تحقيق طه عبد الرؤوف سعد، شركة الطباعة الفنية المتحدة.
- صحيح البخاري، أبو عبد الله، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، تحقيق جماعة من العلماء، الطبعة السلطانية، بالمطبعة الكبرى الأميرية، ببولاق مصر، ١٣١١ هـ، ثم صَوّرها بعنايته د. محمد زهير الناصر، وطبعها الطبعة الأولى عام ١٤٢٢ هـ لدى دار طوق النجاة، بيروت، مع إثراء الهوامش بترقيم الأحاديث لمحمد فؤاد عبد الباقي، والإحالة لبعض المراجع المهمة.
- صحيح مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ثم صورته دار إحياء التراث العربي ببيروت، وغيرها، القاهرة، ١٣٧٤ هـ - ١٩٥٥ م.
- مجمع الأمثال، أبو الفضل أحمد بن محمد بن إبراهيم الميداني النيسابوري، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد، دار المعرفة، بيروت - لبنان.
- مسند الإمام أحمد بن حنبل، أحمد بن محمد بن حنبل، تحقق أحمد محمد شاكر، دار الحديث - القاهرة، الطبعة ١، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٥ م.
- مناقب آل أبي طالب، محمد بن علي بن شهر آشوب المازندراني، قام بتصحيحه وشرحه ومقابلته على نسخ خطيّة نخبة من أساتذة النجف الأشرف، طبع في المطبعة الحيدريّة في النجف الأشرف، ١٩٥٦م.
- المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، تحقيق محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م.